حسن البيان لحال الجنة وأهلها وكذلك النيران

لخادم العلم الشريف

أبـــي الفضل أحمد بن منصور قرطام

كان الله له ولوالديه ولمشايخه

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتأبد بالخلود، والصلاة والسلام على صاحب الحوض المورود سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أهل العلم والفهم والكرم والجُود. أما بعد،،،

فاعلم أن الجنة والنار دارا بقاءٍ لا تفنيان، مؤبد بقاؤهما خلافاً للفلاسفة والجهمية القائلين بفنائهما وفناء أهلهما، وهذا الاعتقاد ابتداءً ضلال وابتداع في أصول الدين أثره خطير وجرمه كبير، وبعد البينة والحجة وسلب الاعذار من المتأولين وأن هذا الاعتقاد مخالف لما جاء في الكتاب والسنة والإجماع والتمسك به مُروقٌ من الدين ويحرم على صاحبه الجنة ويسلب منه ذلك الفضل والمنة، ويأوي به قوله واعتقاده في سقر وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لواحةٌ للبشر عليها تسعة عشر.

الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف

فصل في الصنف الأول من أهل الجنة

الصنف الأول: يدخلون الجنة ابتداءً دون سابقة عذاب وهم المؤمنون الكاملون خالدين فيها أبداً لقوله تعالى: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾"التوبة: 100"، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً، خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾"الكهف: 107-108".

فمما يجب على كل مكلف الإيمان بالجنة لثبوتها في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق، أوجدها الله تعالى فيما مضى وهذا قول أهل الحق من المسلمين.

وهي دار الخلود ومأوى المؤمنين التي أعدَّها الله تعالى كرامةً لهم وجزاءً لإيمانهم وطاعتهم، وهي مخلوقٌ عظيمٌ، موجودة الآن، بدليل النصوص الكثيرة الدالة على وجودها وأنها مخلوقة قبل يوم القيامة، فيها النعيم العظيم الأبدي، ونعيمها حقيقيٌ بخلاف مَنْ ضَلَّ وقال إنَّه معنوي، مَنْ دخلها لا يخرج منها تكرماً من المولى سبحانه، فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر، وهي لا تقاس على نعيم الدنيا ولا بوجهٍ من الوجوه، فالمُسمَّيات في الجنة هي نفسها

مُسمَّيات الدنيا كالنَّخل والرُّمان والأكواب والأباريق وغيرها، ولكنَّها جَزْماً تختلف في الصفة، إذْ هي من قبيل الثابت في الأصل المتشابه في الوصف قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَ﴾"البقرة: 25" فيجب الإيمان بها وبكل ما صح ثبوته فيما جاء عنها كتاباً وسنة وذلك على مراد الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، والجنَّة من المخلوقات الثمانية الباقية، وبقائها ليس بذاتها، إنما الذي خلقها سبحانه وتعالى شاء لها البقاء وقد قال الإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله:

ثمانيــــةٌ حُكْــمُ الْبَقـــاءِ يَعُمُّهَـــا مِنَ الْخَلْقِ وَالْبَـاقُونَ فِي حَـيِّزِ الْعَـدَمِ
هِيَ الْعَـرْشُ وَالْكُـرسِيُّ نَـارٌ وَجنَّـةٌ وَعَجْبٌ وَأَرْواحٌ كَذَا الْلَـوحُ والْقَلَـمُ

ونعيم الجنَّة نعيمٌ دائمٌ يزداد ولا ينقص، لا مرضَ فيها ولا أوجاع، ولا شقاء ولا أحزان، إنَّما السُّرور والهناء، وجوههم ضاحكةٌ مستبشرةٌ متنعِّمةٌ، راضيةٌ مرضيَّةٌ، فالمـُخَلَّدون فيها لا يَبُولُونَ ولا يتغوّطونَ ولا يتمخَّطونَ ولا يَتْفلِونَ، أمشاطُهم الذّهَبُ، ورَشْحُهم المِسْك، وأزواجُهم الحورُ العين، وملبسُهم وطعامُهم وشرابُهم ليس من عُرْيٍ

أو جوعٍ أو ظمأٍ، إنما هي اللَّذاتُ المـُتتابعة والخيرات المتوالية التي لا تنتهي.

فصل في أفضل ما يكرم به أهل الجنة

وأفضل ما يُكرم به أهل الجنة النَّظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى الكريم، وهذه الرؤية تكون بالعين الباقية بلا كيف، فالصورة والكيفيَّة عن الله وصفاته منفيَّة، فليس كمثله شيء سبحانه.

وجميع أهل الجنة من الشباب والشيوخ والكهول إنما يدخلون الجنة في سن الشباب: أبناء ثلاث وثلاثين عاماً.

والجنَّةُ لها أسماءٌ كثيرةٌ ومختلفةٌ جاءت في القرآن الكريم، تُوحي بالنّعيم المـُقيم، منها: جَنَّة عدن، دارُ السَّلام، جَنّاتُ النَّعيم، دارُ الآخرة، دار القرار، دارُ المتَّقين، الفِرْدَوس، الحُسنى، جَنَّة الخُلد وغيرها، وكلها تدل على "الجنَّة"، وهي جنَّةٌ واحدةٌ، ولكنَّها منازلُ متفاوتةٌ، وذلك حسب سعي المؤمن في الدنيا، ومنازل الجنَّة كلها متَّصلةٌ بمقام الوسيلة المحمود الذي بُعث له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأفضل درجات الجنَّة هي الفِردوس الأعلى، وهي رَبْوةُ الجنَّة وأوْسَطُها وأعْلَاها وأرْفَعُها فوقها عرش الرحمن، ولْيُعلم بأنَّ منازل الرُّسل والأنبياء عليهم الصلاة والسَّلام ليست كمنازل دونهم.

فصل في الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالجنة

الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾"البقرة: 25"، وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾"آل عمران: 133"، فالمعدود لا يكون إلا موجوداً، وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾"الرحمن: 46"، واختيار صيغة المثنى وغيرها من الصِّيغ ما هي إلا تنويعٌ في الاسْتدلال لمزيدٍ من تشويقِ المؤمن لطلب المنــزلة الفُضلى والسَّعي إليها، والآياتُ في هذا المقامِ كثيرةٌ جداً.

الدليل من السنة: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ على قَلْبِ بَشْرٍ)"رواه البخاري ومسلم"، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ)"رواه البخاري"، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله

وسلم قال: (إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ لا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ: بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ)"مُتَّفَقٌ عَلَيه".

الإجماع: قال الإمام ابن حزم الظاهري رحمه الله في كتاب (مراتب الإجماع) ما نصه: "واتفقوا أن ما وصف الله تعالى به في الجنة من أكل وشرب وأزواج مقدسات ولباس ولذة حق صحيح".

قال الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكيّ رحمه الله:

وَالنَّارُ حَـقٌّ أُوجِـدَتْ كَالجَنَّـة　　فَـلَا تَمِـلْ لِجَاحِـدٍ ذِي جِنَّـة

وقال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

الإِيمَانُ جَـزْمٌ بِـالإلَهِ وَالْكُتُـبْ　　والرُّسْلِ وَالأَمْلاكِ مَعْ بَعْثٍ قَرُبْ
وَقَــدَرٍ كَــذا صِرَاطٌ مِــيزانْ　　حَــوْضُ النَّــبِيِّ **جَنَّــةٌ** ونِــيرَانْ

فصل في الصنف الثاني من أهل الجنة

وهم الذين لا يدخلونها ابتداءً ولكن دار خلودهم الجنة، وهم الذين استحقوا عذاب النار من عصاة المؤمنين بعدل الله ولكنهم لا يلبثون فيها بمحض فضله سبحانه وتعالى، إذ أنه يُلقى عليهم الموتُ بعد الدخول بمدة، لا يعلم مقدارها إلا الله، فلا يحيون حتى يخرجوا منها، وذلك لما رواه أبو سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم - أو قال: بخطاياهم- فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحماً أُذِن بالشفاعة، فجيء بهم ضَبائرَ ضَبائر، فَبُثوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل)، فقال رجل من القوم: "كأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد كان بالبادية"(أخرجه مسلم في باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار)، وهل هذا الموت حقيقي أم فقدان الإحساس بالعذاب؟ والصحيح أنه حقيقي عملاً بظاهر الحديث، خلافاً لمن قال أنه فقدان الإحساس.

فصل في الصنف الثالث من الناس

وهم الذين دار خلودهم النار، وهم الكافرون، الذين قال فيهم عز من قائل: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾"البقرة: 167"، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً، إِلا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً﴾"النساء: 168-169"، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾"المائدة: 72"، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾"المائدة:37"، وقال تعالى: ﴿وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾"الأعراف: 40"، وهذا أسلوب قرآني فيه تيئيس للكفار من استحالة دخولهم الجنة شرعاً وهو من قبيل الاستعارة التمثيلية عند العرب وهو ضرب من ضروب البلاغة، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً، خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً﴾"الأحزاب:64-65"، وقال تعالى: ﴿لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾"الزخرف:75"، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾"الجن: 23".

فصل يجب على المكلف الإيمان بالنار

يجب على كل مكلف الإيمان بالنار لثبوتها في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق، أوجدها الله فيما مضى وهذا قول أهل الحق من المسلمين، وهي مُسْتَقَرُّ ومأوى الكافرين، أعدَّها الله تعالى عقاباً وجزاءً لكفرهم وطغيانهم في الدنيا، وهي مخلوقٌ عظيمٌ، موجودة الآن بدليل النصوص الكثيرة الدالة على وجودها وأنها مخلوقة قبل يوم القيامة، وفيها العذاب العظيم الأبدي، وعذابها حقيقيٌ لا معنوي فقد خلقت للتعذيب وإحداث الألم في الكفار وبعض عصاة المسلمين قبل خروجهم منها، ولا يصح صرفها إلى معنى آخر، كتفسير أن العذاب مشتق من العذوبة وهو تأويل باطل وفاسد لمخالفته صريح القرآن فلا يُلتفت إليه، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾"المائدة: 37" ومَنْ دخلها من الكافرين لا يخرج منها أبداً، أمَّا مَنْ اسْتحقَّ دخولها من المؤمنين أصحاب المعاصي والذنوب للتَّطهير فلا يخلدون فيها إنْ دخلوها، وهؤلاء أمرهم مفوضٌ إلى ربهم إن شاء عذّبهم وإن شاء غَفر لهم، والبعض منهم قد تدركهم الشفاعة فلا يدخلونها أصلاً، وأمَّا من دخلها وأدركته الشفاعة فيخفف عنه العذاب ويخرج منها، وهؤلاء متفاوتون في مراتبهم، إلا أنهم جزماً لا يخلدون فيها، بل عاقبتهم

الجنَّة، وآخر أهل النَّار خروجاً وهم آخر أهل الجنَّة دخولاً أناسٌ يُعطون مثل عشرة أمثال الدنيا.

فصل ومما يجب أن يُعلم أن عذابها عذابٌ دائمٌ

ومما يجب أن يُعلم أن عذابها عذابٌ دائمٌ ولا يقاس على عذاب الدنيا ولا بوجه من الوجوه، وهي من المخلوقات الثمانية الباقية، وبقائها ليس بذاتها، إنما الذي خلقها شاء لها البقاء، والعذاب فيها يزداد ولا ينقص على الكافرين، وهو ويلاتٌ مـُتتابعةٌ وعذاباتٌ متواليةٌ والعياذ بالله تعالى، وقد قال الإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله:

ثمانيـــةٌ حُكْـــمُ الْبَقَـــاءِ يَعُمُّهَـــا مِنَ الْخَلْقِ وَالْبَـاقُونَ فِي حَـيِّزِ الْعَـدَمِ
هِيَ الْعَـرْشُ وَالْكُـرسِيُّ نَـارٌ وَجنَّـةٌ وَعَجْبٌ وَأَرْواحٌ كَذَا الْلَـوحُ والْقَلَـمُ

وهي متفاوتةٌ في دَرَكاتها، فلا شك بأنَّ الكفَّار متفاوتون في العذاب، فمن كفر بالله العظيم ليس كمن قتَّل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وليس كمن أفسد في الأرض، وليس كمن هو كافرٌ ولكنَّه أحسن معاملة المسلمين وتوقيرهم، وهكذا.

وكَثُر ذكر النّار وآيات التهويل في القرآن الكريم لتخويف منها والعمل من أجل اجتنابها، وذهب فريق من العلماء على أنها واحدة وجاءت بأسماء كثيرة منها: النار، جهنَّم، لَظى، الحُطَمة، السَّعير، سَقَر، الجحيم، الهاوية، سِجِّين، السموم.

واعلم أن الأثر المنسوب إلى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بن العَاصِ وهو: "لَيَأْتِيَنَّ عَلَى جَهَنَّمَ يَوْمٌ تَصْفِقُ فِيهِ أَبْوَابُهَا لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ، وَذَلِكَ بَعْدَمَا يَلْبَثُونَ فِيهَا أَحْقَاباً" هذا الحديث لا أصل له، وإن صح له أصل فهو محمول على خروج كل الموحدين الذين يستحقون العذاب فيها، لما وقع من إجماع أهل الحق على أن أهل التوحيد لا يخلدون في النار، ولما جرى من بعض العلماء أن جهنم أخف دركات النار ويعذب بها عصاة المؤمنين، فيأتي على جهنم يومٌ تصفق فيه أبوابها فعلاً. أما حمل اللفظ على عمومه، فهو استدلال باطل لمخالفته صريح القرآن وما تواتر من الأحاديث الدالة على دوام العذاب للكفار، فلابد من تخصيص الأثر للجمع بين الأدلة، وكذلك يحمل قوله تعالى: ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾"النبأ: 23" لأن الحقب عند العرب ثمانون سنة فيكون معنى الآية أحقاباً بعد أحقاباً إلى ما لا نهاية وهو الذي يناسب الاعجاز ولأن القرآن لا يتناقض وهو يشرح بعضه بعضا.

فصل في الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بوجود النار

الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾"آل عمران: 131"، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾"الأحزاب: 64"، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ "التَّحريم: 6".

الدليل من السنة: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فأنهم لا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمْ نَارٌ بِذُنُوبِهِمْ أَوْ بِخَطَايَاهُمْ، فَأَمَاتَتْهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْماً، أُذِنَ لَهُمْ فِي الشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، فَقِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ، تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ)"رواه مسلم"، وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ- أي النمل الأحمر الصغير- فِي صُوَرِ الرِّجَالِ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيُسَاقُونَ إلى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسْ)"رواه أحمد والترمذي".

الإجماع: قال الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله في كتاب (الفرق بين الفرق) ما نصه: "وقالوا بخلق الجنة والنار، خلاف قول من زعم أنها غير مخلوقتين".

قال الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكيّ رحمه الله:

وَالنَّارُ حَـقٌّ أُوجِـدَتْ كَالجَنَّـة   فَـلَا تَمِـلْ لِجَاحِـدٍ ذِي جِنَّـة

وقال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

الإِيمَـــانُ جَـــزْمٌ بِـــالإِلَهِ وَالْكُتُـــبْ   والرُّسْـلِ وَالأَمْـلاكِ مَـعْ بَعْـثٍ قَـرُبْ

وَقَـــدَرٍ كَـــذا صِرَاطٌ مِـــيزانْ   حَـــوْضُ النَّـــبِيِّ جَنَّـــةٌ ونِـــيرَانْ

الخاتمة

فيتبين من مجموع هذه الآيات القطعية الدلالة والمعنى بقاءُ الجنة والنار وخلودُ أهلهما فيهما، ويوضح هذا ما جاء في السُّنة المشرفة، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار، جيء بالموت حتى يُجعل بين الجنة والنار ثم يُذبح، ثم ينادي منادٍ: يا أهل الجنة لا موت، يا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم)"رواه أحمد والبخاري ومسلم"، وفي الحديث إشارة إلى أبلغ الأساليب الدالة والمؤكدة لمعنى الخلود لكلا الفريقين من أهل الجنة والنار، قال ابن عطية في تفسيره (المحرر الوجيز): "الموت والحياة عند أهل السنة معنيان يتعاقبان جسمَ الحيوان - يطلق على كل من

دبَّت فيه الحياة- يرتفع أحدهما بحلول الآخر"، وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ ينادي منادٍ: إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تصِحُّوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً، فذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾"الأعراف: 43")"رواه مسلم"، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في الإضاءة لا يبولون ولا يتغوطون، ولا يتفلون ولا يتمخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة - عود الطيب-، أزواجهم الحور العين، على خَلق رجل واحدٍ على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء)"متفق عليه"، ومما يجب علينا اعتقاده أن الجنة موجودة الآن لقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾"آل عمران: 133" والمعدود لا يكون إلا موجود وأن الجنة درجات لقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ

دَرَجَاتٍ﴾"الزخرف: 32"، وأنها فوق السماء السابعة لقوله تعالى: ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾"النجم:15"، والجنة لها أسماءٌ كثيرةٌ جاءت في القرآن الكريم وبينتها السنة المشرفة كما مر معنا أنفاً، توحي بالنعيم المقيم، وكثرة المسميات والدرجات للترغيب والتشويق إليها والعمل لأجلها، وأن جهنم دركاتٌ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾"النساء: 145"، وهي في الأرض السفلى لقوله تعالى: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾"المطففين: 7"، والنار لها أسماءٌ كثيرة جاءت في القرآن الكريم وبينتها السنة المشرفة كما مر معنا آنفاً تدل على جواز العذاب للمؤمنين ولكنه غير دائم بفضل الله وذلك لما جاء في الكتاب والسنة وعليه إجماع أهل الحق، أما دوام العذاب فلا يكون إلا للكافرين وذلك بعدل الله سبحانه وتعالى، وإن كثرة مسمياتها والتهويل والتنويع في صفاتها من أجل الترهيب منها والعمل على اجتنابها، وكون جهنم موجودة الآن لقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾"البقرة: 24"، والمعدود لا يكون إلا موجود، وهو من الإعداد لا من العدد.

الخلاصة:

إن معتقد أهل السنة والجماعة المتمثل بالأشاعرة والماتريدية مطبق ومجمعٌ على معاني هذه النصوص السابقة الذكر التي جاءت في الكتاب والسنة المشرفة، واتفقوا على أن من أنكر ذلك فقد نزع ربقة الإسلام من عنقه ولقي الله غاضباً عليه، وأعد له جهنم خالداً فيها أبداً مع إقرارهم بأن هذا المعتقد هو من بديهيات الدين، ومما لا يجوز جهله عند العوام، ناهيك عند غيرهم من العلماء، وفي ذلك أكبر كفاية لذوي النظر وأهل التدبر والعناية، والله ورسوله أعلم.

اللَّهُمَّ إنا نسألك الجنة ونعيمها ونعوذ بك من النار وجحيمها، اللَّهُمَّ إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من عمل ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من عمل آمين آمين آمين يا رب العالمين

وصل اللَّهُمَّ على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين

حرره خادم العلم الشريف أبو الفضل أحمد بن منصور قرطام الحسيني المالكي الفلسطيني كـان الله لــه ولوالديـه ولكل من كان له فضل عليه بمنه وكرمه آمين آمين آمين.

إعداد:

المركز الوطني للبحوث والدراسات

التابع لآل البيت - فلسطين

11 شوال 1428هجري الموافق 22 أكتوبر 2007 رومي